مجموعة قصصية

اعترافات حواء

بقلم الدكتورة

ابتسام عبد الصمد درويش



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد
اســـم الكتاب : اعترافات حواء
المـــــــؤلف : د. ابتسام عبد الصمد درويش
رقـــم الإيداع :

الطبعة الأولى ٢٠١٣

مكتبة جزيرة الورد
القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٣٨٧٧٥٧٤

عندما تتحدث شهرزاد عن آدم

لم تعد حواء عروسًا حسناء تطل من نافذة قصرها، لقد صارت فلاحة تعمل في حقلها، ومهندسة وطبيبة ومدرسة وعالمة وباحثة وداعية ومفكرة وكاتبة .. ولكن تظل حواء في قرارة نفسها لا تعترف بنجاحها ، ولا تعتبر نفسها ملكة عظيمة تتربع فوق عرشها إلا إذا كان بجوارها آدم ، يحبها ويحترمها ، ويصون حقوقها ، ويساند وجودها ، ويحمي شرفها ، ويقدرها قدرها .

بهذه الكلمات الصادقة استهلت القاصة مجموعتها «اعترافات آدم وحواء» . وأهمية هذه الكلمات تأتي من أن الكاتب .. امرأة ..

لعل المتأمل للإبداع الأدبي خاصة في مجال الرواية والقصة والشعر يلاحظ صعود ظاهرة شاعت تتمثل في تصدي المرأة – الأديبة والمبدعة – لمعالجة فن القصة والرواية .

ويرجع انتشار هذه الظاهرة ، وبروز أسماء نسائية كثيرة خاصة في مجالي القصة والرواية إلى انتشار تعليم المرأة في مختلف أنحاء العالم العربي مع التحرر من الاستعمار القديم ، الذي كان يرزخ على معظم البلاد العربية من ناحية ، وخروج المرأة للعمل من ناحية ثانية وهو ما أدى إلى اتساع تجربتها الحياتية التي حاذت تجربة الرجل .

لقد فرض إبداع المرأة نفسه على الساحة الأدبية والثقافية بلا جدال.

في اعترافات حواء وآدم تقدم ابتسام درويش عالمًا تقوم فيه المرأة بأدوار كثيرة تواجه بها حياة قاسية في أكثر الأحوال .. أغلب هذه الاعترافات يظهر جليًا تأثير البيئة والطبقة والأعراف على تصرفاتها .. ولكنها ليست أسيرة لهما .. ففي كثير من الأحيان نجدها ثائرة عليها ، ذلك أن هموم المرأة فيها تقع في منطقة الصدام بين عالم المرأة وعالم الرجل .

إن هذه العلاقة بين الرجل والمرأة تتأثر في إطارها العام بتأثرات البيئة والطبقة الاجتماعية إلا أنّ الجانب الذي تركز عليها ابتسام درويش في هذه العلاقة هو الجانب الذي يحتفظ بقدر من الاستقلال في أية علاقة بين المرأة والرجل ، ومهما تكن هذه العلاقة .

إن لحظة الصدام بين المرأة والرجل هي المحرك الأساسي لسلوك كل منهما تجاه الآخر ، والمفجر لشتى الانفعالات والمواقف .

الرجل في «اعترافات حواء» يقف بعيدًا عن المنظر .. محكوم عليه من وجهة نظر حواء ، لا نسمع منه ، ولا نعرف عنه إلا ما يخطر ببالها عنه ، أو على الأقل ما يقوله في حضورها .. وهذا بالطبع يكشف جزءًا من الحقيقة .. «والمرأة» في «اعترافات آدم» تراها من وجهة نظره عكس الأمر السابق تمامًا.

إنّ الحس الواقعي يغلّف قصص هاتين المجموعتين القصصيتين . وأن يجيء ذلك من خلال رؤية «حواء» أي : ابتسام درويش فهذا يعتبر تجربة فريدة .. فهي تعبر عن إحساس المرأة .. والرجل في آن واحد . ولكن هل انحازت «حواء» أقصد «ابتسام» إلى المرأة في هاتين المجموعتين؟ أشك في ذلك .. أرى أنّها التزمت الحيدة في معالجتها للأنماط التي جاءت بها في هاتين المجموعتين.

إن هذه المعالجة الواقعية لمشاكل آدم وحواء جاءت عبر أسلوب شعري أخاذ يكشف المشاعر الحقيقية للشخصية مع التأكيد على الدور الاجتماعي الهام الذي يطلع به آدم وحواء لتعبر عن عصر مليء بالتناقضات زاخر بالمشاكل.

إنّ قصص ابتسام درويش هنا تتسم بالمشاعر الجياشة الصادقة مع استخدام اللغة الشعرية المحلقة ، فضلاً عن الاعتناء بالعبارات الرشيقة والجميلة كثيرة التفاصيل ، حيث عبرت عن مشاعر المرأة في انطلاق دون انفلات .. وعبرت في الوقت نفسه عن مشاعر الرجل بصدق وحيدة كاملة حيث تناولته زوجًا أو حبيبًا أو صديقًا أو أبًا أو أخًا.

إن الكتابة الإبداعية عند ابتسام درويش – وهي طبيبة – لم تقتصر على القصة القصيرة فقط .. بل تكتب الشعر .. وقصص الأطفال .. مما يؤكد أن قضية الكتابة بالنسبة لها تمثل حياة كاملة تعيشها بكل كيانها وهواجسها ، إنها تفتش بدأب عن أي مشكلة اجتماعية في الواقع المعاش فتعالجها بذكاء وفنية من أجل إقامة كيان أفضل في حياة أفضل تمثل طموحًا لغد أفضل حيث يجب أن ينعم الجميع بحياة تكتنفها السعادة.

إن ابتسام درويش تتقدم لنا بهاتين المجموعتين لتعلن أنها كاتبة ملتزمة بهموم عصرها . وكان من الممكن أن نقدم هنا دراسة عن كل قصة من قصص هاتين المجموعتين ، ولكن آثرت أن يأتي ذلك في مرحلة قادمة حتى لا نؤثر على القارئ ويكون رأيه الخاص والذي لا أشك أنّه سيكون في صالح هذه الكاتبة التي تناولت قصصها من خلال الشاعرية المعبقة بروائح الزمان والمكان ، وعطّرت قصصها بنوع من الجمال المبهر.

سمير بسيوني

المقدمة

لم تعد حواء عروسا حسناء تطل من نافذة قصرها ، لقد صارت فلاحة تعمل فى حقلها، ومهندسة وطبيبة ومعلمة وعالمة وباحثة وداعية ومفكرة وكاتبة وناقدة وقاضية وسفيرة راقية، ولكن تظل حواء في قرارة نفسها لا تعترف بنجاحها ولا تعتبر نفسها ملكة عظيمة تتربع فوق عرشها إلا إذا كان بجوارها أدم يحبها ويحترمها ويصون حقوقها ويساند وجودها ويحمى شرفها ويقدرها قدرها ، ولكن كثيرا ما تصر الحياة على عنادها وتثير غضبها ، ومن هنا جاء حديثها ليعبر عن مواقف عصيبة في حياتها ، وليعبر عن آلامها وهمومها، وأيضا أمالها فى حياة أفضل لأبنائها ولأبناء وطنها ،وكذلك يحكى أدم عن حوائه، وعن أسباب غضبه ورضائه، وعن سعادته، وشقائه، وعن هموم الصديق والوطن ،وعن فلسفة بقائه وفى النهاية يتفق أدم مع حواء فى أشياء ويختلفان في أشياء وتبقى صلتهما الأبدية قائمة فما لحواء إلا آدم وما لادم إلا حواء.

اعترافات حواء

قضيه العام الأول:

أنا فتاة فقيرة عاشت عاما كاملاً في شقة فخيمة تبدو للناظرين كسحر الأحلام ولكنها كانت لي كهفا شديد الظلام ومنبعا للهموم والأحزان تناقل الناس قصتي وتحيروا من قضيتي ولكن هل تدرون ما القضية ؟ القضية أننى تزوجت ! ..... لا تتعجبوا فهى لم تكن قضية فى ذلك الوقت.

في الشهر الأول : طغت الفرحة على قلبى ، وبدون جناحان حلقت وطرت ، وفوق السحاب جلست وتربعت ، ومع الطيور تسابقت ، وأظننى قد فزت.

في الشهر الثانى : دائما متزينة ، متألقة ، سابحة ومتوغلة فى بحور السعادة المذهلة.

في الشهر الثالث: مدت الدنيا لى يداً فصافحت ، أطعمنى بيده حتى تدللت وشربت من حنانه حتى ارتويت.

في الشهر الرابع: كان فاصلاً حاداً بين الحياة والموت لا أدرى ماذا حدث ؟ لقد عدنا من دنيا الأحلام ، وهوينا على ارض الواقع ، فشربت كأسها المر، وكأنه سم ناقع ، وشقيت شقاءً ليس له دافع.

في الشهر الخامس: أخرجنى آدم من الجنة وقذف بى الى النار بلا رحمة.

في الشهر السادس: لم يطل الانتظار، أصابنى الانهيار وأدركت أننى قد أسأت الاختيار.

في الشهر السابع : أحزنني حظى التعس ، وهذه الأيام النحسات ، إن هذا الزوج قد اتخذ منى جارية بثمن بخس ، لقد دخلت عالم الاستعباد، استعباد الأزواج للزوجات.

في الشهر الثامن: زوج علمنى عالم الإشارات والانحناءات والتنازلات والويل لى إن تزمرت ، لم أفهم قبلاً لغة الإشارة لكننى تدربت وتعلمت ، لم أدرك قبلاً ماهية الزوجة ولكننى الآن قد أدركت.

في الشهر التاسع : ضاعت هويتى ، سجنت حريتى ، طمست شخصيتى، وتاهت فى الظلمة خطوتى.

في الشهر العاشر: أكثرت من الحديث مع نفسي ثم صمتت ، تشرنقت تحورت ، وقفت وجلست ، احترت وتفكرت ،أقبلت وأدبرت ، بكيت وانهرت ، وبكيت وتماسكت ، سأل الأصدقاء عنى فقلت : دعونى فقد تزوجت.

في الشهر الحادى عشر: عميت ، صممت ، يئست ، صار الليل مثل النهار، وقيظ الظهيرة مثل برد الأسحار ، رأيت نور القمر يتوشح بالظلام ، ورأيت الظلام يبتلع ضوء النهار ، شاهدت غول الأحزان وهو يمتص بضراوة ذرات السعادة المتبقية فى المكان.

في الشهر الثانى عشر: سيطر الوهن على عقلى، وفطر اليأس قلبى، و تأججت النار فى صدرى ، سألت نفسى هل مثل هذا الزوج شريك أبدى! أم ليل سرمدى؟

هل هو حظ مشئوم! أم قدر محتوم؟

هل نغفر ونصبر حتى نقبر!؟

أم نفلت ونفر إلى عالم أفضل !

لقد قررت أن أتمرد وأتحرر من هذا القيد.



خسارة بالضربة القاضية

مضت أيام حياتى فى هدوء وسلام ، كانت حقاً أيام بلا لون أو طعم أو معنى ، ولكنها أيام معدودة من عمرى تحملتها فى صبر قهرى ، فأنا لا أملك القرار ، ولا أتحكم فى قدرى.

و جاء فجر ذلك اليوم ليعيدنى إلى محيط الحياة الثائر دائما الذى لا يتوقف عن لطم الصخور بموجاته الهادرة حين نظرت إلى أجندة المكتب، يااللصدفة إنه عيد زواجى الخامس والعشرين ، تناولت من القهوة كوبين ، واستغرقت فى التفكير ففى مثل ذلك اليوم منذ خمسة وعشرين عاماً كنت فتاة صغيرة ، جميلة ، مفعمة بالحياة ، إننى أرى نفسى الآن فى المرآة امرأة أخرى مختلفة ، زحف البياض على شعرى ، وبعض التجاعيد ظهرت فى وجهى، وتلك الهالات السوداء تحت العيون إنها تقلقنى ، وتذكرت كلمات الطبيب النفسى فى آخر مرة زرته فيها عندما قال لى : هذا شئ طبيعى بعد زواج ولدك الوحيد، وسفره بعيداً عنك، وأعطانى بضعة أقراص لعلاج الاكتئاب ونصحنى بالحديث والنزهة مع زوجى ، ضحكت كثيراً بينى وبين نفسى على كلمات الطبيب، إنه لا يدرى أن زوجى هو من جلب لى تلك الكآبة ، إن الكآبة تسير فى قدميه ، وتظهر على وجهه ، وتشع من كلماته الثقيلة ، إنه لا يحسن سوى عمله الذى يعود منه متأخراً دائماً، ويتناول طعامه وهو يشاهد حلقات المصارعة والملاكمة ثم يقرأ بعض المجلات فى صمت ثم يذهب للنوم، وهكذا تمر الأيام ، قلت لنفسى سوف أتصارع بقوة مع هذه الكآبة التى تحطم حياتنا، وتضغط عليها بقوة وقسوة وبدون رحمة حتى كادت أن تهشمها بين أصابعها ، سوف أتصارع مع الجمود والبرود فى مشاعر زوجى ، سوف أقوم بهذا التحدى لأستعيد حياتى وسعادتى فى بيتى ومع زوجى ولأستعيد السلام داخل نفسى .

قمت بترتيب الأثاث بعناية ، ذهبت إلى مصفف الشعر ، اشتريت ثوباً جميلاً يظهر جمالى ، اشتريت لزوجى عطره المفضل ، اشتريت زهوره المحببة ، طهوت له الطعام الذى يشتهيه ، وضعت الطعام على المائدة ، أضأت الشموع فى كل مكان ، انتظرته بشوق كبير وطال انتظارى ولم يبق من الليل وقت طويل ، وفجأة شق السكون صوت دوران المفتاح في الباب قفزت من مقعدى لأنظر فى المرآة ولأعيد ترتيب زينتى ، فتح الباب فوجدنى فى انتظاره ، مر بجانبى كالظل الأسود حاملاً فى يده حقيبته السوداء حتى أنه لم ينظر تجاهى ، لقد تجاهلنى وكأننى شبح غير مرئى، أو لعلنى جنى من العالم السفلى أحسست أننى صغيرة وتافهة بحجم ذرة الغبار، لقد هزمنى فى بداية الجولة الأولى ولكن لا بأس فما زال هناك جولات ، تركته يبدل ملابسه ، ثم تقدمت نحوه بدلال لم أفقده، وبحنان كان ينبغى أن يسعده، ولكنه تجاهلنى ، فكانت هذه هى الهزيمة الثانية ، وكأنه قد لطمنى على وجهى

إنها حتماً ضربة موجعة ولكنها ليست قاضية ، ابتسمت له وطلبت منه أن نتناول العشاء سوياً على ضوء الشموع ، نظر حوله ملياً ثم سألنى ساخراً: ما هذه الشموع الكثيرة ،هل مات أحدهم! وكانت تلك هى الضربة الثالثة ، جاءت على أم رأسى وكأنما أسقط على رأسى جبالاً من الحجارة ، تماسكت وقلت فى هدوء: ألا تدرى ما اليوم يا عزيزى؟!

قال غاضباً :لا أدرى، ولا أريد أن أعرف، ولا أريد الطعام ، لقد تناولته مع أصدقائى فى المكتب ،

انتهت الجولة الرابعة فاز فيها بالفظاظة والقسوة ،وليته توقف عن الكلام و الشتائم لكنه لم يفعل ،

إننى فى الجولة الخامسة ، إنه يسدد اللكمات الواحدة تلو الأخرى وأنا واقفة فى الركن أتلقى اللكمات ووجهى مكشوف لا أستطيع حمايته ، إننى أترنح ، إننى أسقط ، لقد جلست بجانبه على الأريكة ، أفقت على نظراته العابسة ، الغاضبة لى ، قال فى دهشة ماذا يحدث معك الليلة هل أنت مريضة أم أنه كبر العمر ؟! سمعت الأجراس تدق حول رأسى

أنها الجولة السادسة قد بدأت ، قلت لنفسى تابعي جولاتك أنت سيدة قوية لا تستسلمي ، لاتنهزمى ، وقف يستعد للذهاب إلى غرفته ، لحقت به ، طوقته بذراعى وقبلته ، وهنأته فرد فى خشونة : بماذا تهنأين؟!

قلت : إنه عيد زواجنا الخامس والعشرين ، أرحت رأسى على كتفه ولكن كلماته الثقيلة صدمت طبلة أذنى كطلقات المدفع .

لقد بدأت الجولة السابعة مبكرة ، قال : بربك ماذا تفعلين! ألا تخجلين ! لقد تجاوز عمرك الأربعين لقد تزوج ولدنا، وبعد شهرين سوف نصبح جدين.

لا مجال لى للنصر فى هذه الجولة لقد أخذها بجدارة ولكننى مازلت واقفة أمامه أطوقه بذراعى ، أشعر أن ألاف العيون تنظر إلى وتحدق فى ، سمعت ألاف الضحكات الساخرة من حولى.

هل الجولة السابعة هى القاضية؟ ، لا أعتقد ذلك فما أزال واقفة ، وما زالت تحملنى قدماى.

لم أعرف أن الجولة الثامنة قد بدأت إلا عندما حرك وجهه بعيداً عني ليتفادى قبلة أردت أن أستعيد بها حنانه ولكن يبدو أنه خاف أن تلسعه قبلاتى ، شعرت بتقلصات شديدة تغزو عضلاتى، و تلقيت ألماً في قلبي لأنه يتفادى النظر فى عيونى ، هل منظرى قبيح إلى هذه الدرجة؟! نظرت فى المرآة هناك على صورتى ، رأيتها جميلة ساحرة إذاً ماهى المشكلة ؟! إنها مشكلته هو على كل الأحوال، يبدو أنه لم يعد يرى أولا يريد أن يرى ؟!

انتهت الجولة التاسعة بفوزه الساحق فى إهانتى وتحطيم قلبى وكبريائى و كرامتى.

أما الجولة العاشرة فقد فاز فيها بنظرة الغضب القبيحة على وجهه وانتهت الجولة الحادية العاشرة وهو يفلت بقوة من يدى ويدفعنى بعيداً ، ترنحت وكدت أن أسقط ، تشبثت بيده ولكنه أنهى الجولة الثانية عشرة بسرعة عندما قلت له والدموع تنهمر على وجهى : لقد أحضرت لك هدية ، فنزع يده وانصرف عنى وهو يتمتم بكلمات غبية.

لم يعد هناك زمن لقد فاز بالضربة القاضية .

رأيت نفسي جريحة غارقة فى الدماء ، أغلقت عيونى فرأيت أمى تحرك فوطة بيضاء لتجلب لى بعض الهواء وأبى جاء يمسح وجهى بالماء وسمعت صوت الحكم يضرب الأرض بقسوة بجانب رأسى ويعد ، واحد .... اثنان .. ثلاثة ورفع الحكم يده عالياً وهو يمسك بيده و يصيح : هذا هوالفائز، مبروووووك.

عندما أفقت وقفت مكانى وتسمرت ، لبثت ملياً وكأننى قد صرت تمثالاً حجرياً وياليتنى كنت كذلك فعلاً ، أحسست أن الغرفة تضيق من حولى ، تحاصرنى ، تعصرنى ، تحبس الأنفاس في صدرى ، تجمد الدماء في قلبي ، تنزع الإحساس من نفسي، تنتزع الروح من جسدي ، أخذت أدور حول نفسى و أقول يا ويلي يا ويلى ، وتساءلت وقد تملكني اليأس و كأنى أهذى ماذا أفعل ؟

هذا الرجل هل هزمنى أم تراه قد قتلنى ؟!

لقد أحببته وتحملته سنوات وسنوات ولكنه فى لحظات غرس خنجرا مسموما فى قلبى يا للحسرة على ما ضاع من سنوات عمرى.

خمسة وعشرون عاماً ضاعت من عمرى ، تطايرت شرارات الغضب في عقلى ، جلست والحزن يعصرنى ، أفكر كيف أتدبر أمري ، ظللت ساهرة ، لا أنا مستيقظة ولا أنا نائمة ، أنا غاضبة ناقمة ، لم أعد هادئة مسالمة ، إننى وحش كبير له خوار وزئير.

سمعته يطلب الطعام بسرعة حتى لا يتأخر عن الدوام ، نظرت إلى الساعة ، لقد جاء الصباح وأنا أشعر أن الليل بظلمته مازال حولى ، جهزت له الطعام ورأسى منكسة فما زلت تحت وطأة الإنهزام والانكسار ، لا أقوى على الكلام ، نظرت له من بعيد أتأمله وهو يلتهم الطعام ، الآن فقط أدركت أن زوجى له معدة وأمعاء وقلب من حجر لا تجرى فيه الدماء.

فى هذا الصباح قضى الأمر وحسم ، سوف أرد له الضربة القاضية التى فاز بها، إنه لايدرى حقا عن هذا الفوز لأنه تعوده أما أنا فقد ارتضيتها جولة للاعتزال ، لقد خسرنى ، خسر قلبا محبا تحمل من أجله سنوات من العذاب المهين وضعت ملابسى فى حقيبتى ، سألنى ماذا تفعلين!

- إننى ذاهبة بلا عودة

- فكرى وتدبرى الأمر

- سئمت من لعق المر

- إذا ذهبتى من هذا الباب لن أدعك تعودين

- ذلك أفضل ما سمعته منك بعد كل هذه السنين

أغلقت الباب وراءى ومضيت وملئت صدرى بنسيم الحرية وابتسمت

لقد مسح ضوء النهار عبراتى.فى البداية كنت حائرة ولكن مالبثت أن انتظمت خطواتي المتسارعه مشيت فى ثقة ، سمعته ينادى عودى إننى أمرك أن تعودى أكملت سيرى ولم أنظر ورائى.



واحد يساوى صفرا

قابلته وأحببته بعد لقاء واحد ، تزوجنا بعد شهر واحد

ضمنا بيت واحد ، وبعد أسبوع واحد ، عرفت أنه حب من طرف واحد ، بالنسبة لى كان هو كل الدنيا فى واحد ، أما بالنسبة له فأنا أو غيرى واحد ، فالنساء عنده كلهن واحد ،

سمراء أو بيضاء ، جميلة أو قبيحة ، طويلة أو قصيرة ، متعلمة أو أمية ، كل ما يعنيه هو أمر واحد هو أن تطيعه طاعة عمياء بدون تذمر واحد ، وألوان الزهور واختلاف رائحتها وتعدد أسمائها لا يهم فجميعها عنده واحد .

الأطعمة لديه لا فرق بينها مادام مصيرها بعد ابتلاعها واحد

لايمل الحديث طوال الوقت في حديث واحد عن بطولاته وأمجاده وحكمته التى لم يشوبها خطأ واحد.

فصول السنة من صيفها وخريفها وشتاءها وربيعها لافرق

بينها كلها واحد.

لاتزعجه ثورات غضبى ولا تسعده سعادتى ، دموعى وابتسامتى كل ذلك عنده واحد.

مشت حياتنا عرجاء تسعى على قدم واحد

كل تلك الشهور وقلبى صامد على نحو واحد

لا ادرى أين تأخذنى الأيام فمهما طال صبرى عليه فإن الصبر ليس له إلا مخرج واحد .

وصلت إلى آخر يوم فى عامنا الواحد.

هويت بلا حراك ، فلم يبالي بمرضى ، وصف الطبيب أدوية شتى ولكننى علمت أنه لن يشفينى سوى دواء واحد هو أن أكسر قضبان سجن هذا الزوج الجاحد ، وقد كسرتها بقرار واحد وانطلقت خارج سجنى إلى دنيا الرحمن الرحيم الواحد الذى خلق السموات والأرض والشمس والقمر والجبال والنجوم والحيوان والطيور والليل و النهار وخلق البشر

مختلفين ومتميزين ومتفاعلين ليس واحدا منهم مثل واحد

لم يعارض واحد فراقنا لأنهم أدركوا أن مصيرنا ليس واحدا.

أم سعيد والصحة الحديد

تعودت أم سعيد عندما تستيقظ من نومها ، أن تتناول فطورها فى سريرها ، ثم تشرب قهوتها و هى متكئة على أريكتها ، ثم تهبط بقدميها ببطء على الأرض المغطاة بسجادة وثيرة و تسير بخطوات ثقيلة وما أن تسمع الخادمة خطواتها ، حتى تجرى لمساعدتها فى الجلوس على مقعدها الأثير، ثم تناولها التليفون المسكين الذى أصابه المرض اللعين من أحاديثها اليومية مع الصديقات والجارات عن أخبار الجيران والعائلات وما سيأتى وما قد فات، وعن الأحياء والأموات وإذا توقفت لحظات للاستماع لا تكف عن الاستمتاع بتناول حبات العنب والتمرات وأكواب العصير وقطع الحلويات، ثم تنظر أم سعيد فى ساعتها لتجد الصباح قد مر كالهواء ، وحان وقت الغداء فتصدر أوامرها للخادمة قائلة :

أعدى حالا المائدة، وضعى عليها كل مالذ وطاب من اللحوم و الأرز والدجاج و زينى الأرز بالخلطة والمكسرات، وخلي بالك أنا أحب الأضلع المشوية و بجوارها طبق الملوخيه، ولا تنسى طشة التقلية وتحمير الأرانب يكون من الدرجة الوردية واياك أن تنسى الخبز اللذيذ، وطاجن المكرونه العزيز والسلطه بالمايونيز والحساء بالبهريز، ولا تنسى البطاطس الشيبسى ومش عارفه ليه نفسى رايحه لشوية محشى وأهم حاجه المخللات والمشهيات علشان تفتح نفسى لان شهيتى صارت ضعيفه بدرجة مخيفة،

نظرت الخادمة وقد رفعت حاجبيها واتسعت عيناها وعقدت الدهشه لسانها وظلت تنظر لسيدتها فصاحت عليها أم سعيد :

الله أكبر على عينك الحسود يا أم عبود مش كفاية انى عايشه وحيدة بعد أن تركنى ولدى الوحيد سعيد وسكن مع زوجته وأولاده فى منزل بعيد

قالت الخادمة فى سرها : لقد هرب المسكين بجلده يا بخته......يا بخته نفسى ارتاح شويه من هذه الوجبه اليوميه ارحمينى ياوليه.

وجلست أم سعيد على المائدة وحدها ، وتركت من ورائها كل الأطباق فارغة لتستغفر لها.

ومرت الأيام والشهور وأم سعيد تقيم الولائم وتدعو أصدقائها وهم أيضا يدعونها ، و بالتدريج ضعفت شهية أم سعيد وشحب لونها

وبينما كانت ترتدى أحلى ماعندها لحضور عيد ميلاد ابنة أختها ، فجأة ترنحت وفقدت وعيها، وجاء على الفور سعيد ولدها، وعندما أفاقت وجدت نفسها فى المستشفى الكبير والأطباء حولها ، قالت والدهشه تغمرها :

أين أنا يا سعيد؟

قال سعيد بحزن شديد : ياأمى وجدوا عندك فى ضغط الدم ارتفاع كبير كبير بصحبة مرض السكرى وهو مرتفع ارتفاعا خطيرا والقلب من كثرة الدهون قد أصبح مقصر تقصيراً.

نظرت أم سعيد حولها وبكت على حالها وقالت تحدث نفسها والكل يرثى لها : الظاهر ياأم سعيد إن الصحة لم تعد حديد، والأكيد الأكيد أنها عين حسود من النوع الثقيل وهمست فى أذن سعيد : إذهب يا ولدى و اجلب لى من أجود أنواع البخور خمسة أعواد لعلنى أسترد عافيتى لأحتفل مع الأولاد و أتناول تورتة عيد الميلاد.



محاكمه حواء

هرعت به لغرفة الإنعاش ، متألما فاقد الأنفاس ، أرقدوه على سرير صغير ذو عجلات ، وجاء الطبيب يسعى ويعد له النبضات وسارع يضع على صدره بعض المجسات ، وجدوه لا يستجيب فقاموا بالتنبيه بشحنات من الكهرباء ، صرخت عندما شاهدت هذا المشهد ، فأخرجوها من الغرفة حتى لا تتعذب وحتى لا تكون مصدراً للازعاج. وقفت الزوجة تراقب من وراء الزجاج ، لم تعد تراه لقد حجبه عنها عدد من الأشخاص ، تجمعوا حول سريره يحاولون المساعدة والإنقاذ ، تعلقت عيون الأطباء بتلك الشاشات علي الحائط هناك ، إنها لا تدرى معنى تلك النبضات ، إنها تتسارع ثم تبطئ ، فهي غير منتظمة ، نصحوها بالذهاب إلى بيتها فلا جدوى من انتظارها أمام الباب ولتعود بعد عدة ساعات.

عادت إلى بيتها فوجدته بدون زوجها موحشا كالخراب ، نظرت حولها وإلي الأمام وإلي الوراء ، المنزل مكتظ بالتحف الثمينة وقطع الأثاث على أحدث الصيحات، ولكن كل شئ يبدو بدون زوجها ميتا بدون حياة ، فتحت خزانة ملابسها ونظرت وتذكرت كم من المرات أرغمت زوجها على العمل المتواصل والعناء رغم مرضه ليشترى لها غالي الثياب وكل ما تشاء وفى كل المرات لم يخيب لها رجاء ، حتي إنها لم تشكره مرة على كرمه في العطاء بل كانت دائماً تتفنن فى إشعال الشجار والمشاحنات ونثر النار فى الهواء .

جلست على أحد المقاعد تفكر في حالها ، ماذا دهاها ، لقد بالغت فى ردة فعلها ، خالف الصواب قولها، ولا تدرى ماذا يقول الناس عن طيشها؟ لقد ذهبت إليه في مقر عمله فوجدته يتحدث إلى إحدى العميلات فثارت عليه بنوبة عاتية قاسية من الغضب ، تعرض على إثرها لتلك الأزمة الصحية وأصابه كل ذلك التعب، وتعجبت كل العجب لماذا غضبت ؟ لا يوجد سبب ، إنها واثقة أنه يحبها بكل ما أوتى من مدد، وتساءلت في نفسها ماذا حدث ولماذا حدث ؟ فجأة سمعت ضجيجاً حولها والناس يحيطون بها ويحدقون فى وجهها قالت لهم : من أنتم ومن اين جئتم وكيف دخلتم ؟ إن وجوهكم مألوفة إننى أعرفكم ولكننى لا أتذكركم!

قال أحدهم : أمسكوا تلك المرأة وأدخلوها قفص الاتهام.

صاحت : قفص الاتهام ، ألا تدرى من أكون ! إننى زوجة فلان رد عليها قائلا : أيتها السيدة المتكبرة ، أنت تفتخرين أنك زوجة فلان رغم أنك منذ زواجك منه لم تقدريه حق قدره ولم تعطه أدنى اهتمام ومع ذلك فإنك كنت زوجته وانتهت هذه الأيام.

قالت والخوف فى قلبها : ماذا تقصد !

قال: إن زوجك فلان قد مات.

انهارت الزوجة وسقطت على الأرض وانتبهت على صوت طرقات ، نظرت فإذا بالقاضى يجلس على منصة القضاء ويطلب منها الوقوف لبدء المحاكمة

قالت بصوت ضعيف : لماذا المحاكمة ؟

قال ممثل النيابة : إخرسى أيتها القاتلة : إنك تحاكمين بتهمة قتل زوجك المسكين .

صاحت : أنا لم أقتله أيها المجانين ، لقد كان مريضاً بمرض القلب منذ سنين.

النيابة : بعد الاطلاع على السجلات الطبية وجدنا أن زوجك لم يتعرض لأى وعكة صحية أو يشكو من مرض القلب إلا من بعد الزواج ، وهذا يعنى أنك السبب المباشر للمرض ، كان يعمل فوق طاقته ليكسب المزيد من المال لإرضاء نفسك التى لا تشبع وجشعك الذى لن ينفع ، دعونا نستمع إلى أقوال الشهود.

قال الأول : نعم ياسيدى إن كل ماقلته صحيح فهذه السيدة قد جعلت زوجها يعمل كالآلة الصماء ليوفر لها المال لتشترى ما تشاء ، كان يحترق ويعانى فى صمت النبلاء ويضحى براحته ليراها سعيدة وتنفق بسخاء .

وقال الثانى : احكموا على هذه السيدة بالسجن مثلما وضعت زوجها فى سجن حقير فى سنوات زواجهما المرير قاطعه القاضى : كيف كان هذا السجن وماهو التأثير؟

قال الرجل : لقد كانت تتعامل معه بصورة الأوامر الصارمة مثل : افعل هذا فقط أو الآن فوراً ولا تفعل ذلك أبداً وجعلت من حوله عيونا لها ، يتجسسون على زوجها وكان الويل له إن خالفها كانت تصب عليه حمم غضبها وكان المسكين يخشى زلزال صوتها ، وشدة حسابها فكان ينفذ فقط كل مخططاتها

كانت تسيره بأهوائها ، إنه الآن محظوظ لأنه انفك من قيدها وطار إلى عالم بلا أقفاص بدونها ، لقد تحرر من جحيمها ، قال القاضى : أيتها السيدة هل هذه الأقوال صحيحة ؟

قالت و الدموع تنهمر من عيونها : نعم إنها صحيحة لقد كت صاحبة أخلاق قبيحة

قال الثالث : سيدي القاضي ، إن هذه الزوجة قاتلة زوجها ، لقد قتلته بلا رحمة بقسوة قلبها وانعدام إحساسها تبالها ثم تبالها

قالت إحدى الحاضرات : إن هذه الزوجة المتهمة في قرارة نفسها تحب زوجها ولكنها لم تصرح له بحبها ولو لمرة واحدة وذلك لانشغالها بالتفكير فى نفسها وتحقيق طموحها ، نظرت الزوجة إلى السيدة بلطف وظنت أنها في صفها ولكن السيدة رفعت صوتها وأكملت حديثها وأشارت إلي الزوجة المتهمة ، وقالت : حاكموا هذه الزوجة القاتلة ، لقد قتلت زوجها بغبائها وحمقها إنها أنانية ، حمقاء ، متمردة ، غبية ويل لك أيتها الشقية .

قالت أخرى : سيدى القاضي إن هذه الزوجة المجرمة قد قتلت زوجها بسلاح الإذلال بلا رحمة أو إمهال

قال القاضى : وضحى الكلام

قالت : دائماً كانت تلمح له أنه يكبرها بعقدين من الأعوام وأنها كانت تستحق أن تتزوج من هو أصغر منه عمراً قال القاضى للزوجة :

هل هذا القول صحيح؟ قالت نعم

سألها : هل تزوجك قهراً عنك ؟

قالت : لا ياسيدي ، لقد سعيت وراءه وبذلت كل الأسباب ، كنت فتاة فقيرة بائسة ، أتجول فى الشوارع لأبيع الثياب.

قالت الشاهدة : ورغم ذلك لم تحفظى النعمة ياأخت الذئاب.

قال القاضى : بناءً على ما تقدم من أقوال الشهود حكمنا عليها أن تعيش وحيدة ومنبوذة ومكروهة من الجميع، فى سجن بارد فظيع ، فيه عمرها وشبابها سوف يضيع ، لعلها تتوب وترجع إلى عقلها، وتندم على طيشها وحمقها ، وطرق القاضى عدة مرات ، وقال : انتهت جلسة المحاكمات.

ثم جاء الحراس يضعون القيود في يديها وعنقها وبكل القسوة، يجذبونها فأخذت تصرخ وتحاول النجاة بنفسها وفجأة فتحت الزوجة عيونها فوجدت نفسها في بيتها، وأنها كانت تحلم، والباب يطرق وقطتها تجذبها من ثيابها ، وجدت على الباب أخت زوجها تطلب سرعة حضورها ، سألتها الزوجة وهي فى حال يرثي لها فلقد تسارعت دقات قلبها، وظهر الاعياء على وجهها ،كيف حال زوجى؟ قالت لها : لا أدرى إنه معلق بين الحياة والموت.

أسرعت إلى غرفته وجلست بجانبه ، أمسكت يده ، ضمتها إلى صدرها فى حنان ، اعتذرت له عن كل ما سمعته فى المحاكمة وقالت له بهمس فى أذنه إنها تكن له كل الاحترام والمودة والمحبة، وظلت تبكى وتبكى وتتحدث إليه حتى فاضت دموعها في يديه ، وفجأة حدثت معجزة ممن يتقبل التوبة فلقد عادت نبضات قلبه إلى العمل وانطلقت نبضات القلب تملأ الشاشة وعاد الأمل ، واكتملت السعادة بعودة الوعى للمريض المحظوظ، وجاء الطبيب يسأل الزوجة : ماذا قلت له فى أذنه ؟ ابتسمت الزوجة وقالت : هذا سر بينى وبينه

قال الطبيب : ايا كان هذا السر ياسيدتي فهو من أسرار الحياة فاحرصي على استمراره واحمدي الله فإن معجزة النجاة قد لا تتكرر إذا تكررت تلك الوعكة فى المستقبل لا قدر الله

قالت الزوجة : لا تخف أيها الطبيب فأنا لن أنسى أبداً ما حدث أثناء المحاكمة ، لقد عرفت الدواء وسر الشفاء

ضحك الطبيب وسأل أى محاكمة؟

قالت : محاكمة الضمير لحواء.

ورده سليمان

كانت وردة شابة جميلة ناضرة الوجه كالبدر في ليلة التمام عندما زوجها أهلها وهى دون العشرين بزوج يزيد عمره عن عمرها بعشرة أعوام ، لم تكمل تعليمها ولكنها كانت شديدة الذكاء لطيفة الحديث ، ورثت نبل الطباع عن أهلها ، عاشت وردة فى سعادة مع زوجها ، بعد عدة أعوام من زواجها ، بدأت علامات المرض تظهر عليه ، أخذته إلى أحد الأطباء فقال لها : أنه مصاب بأحد الأمراض ونصح له بالراحة ودواء خاص وصفه لها، ومنذ ذلك اليوم تعود أهل القرية على رؤية وردة و زوجها «سليمان» وهم يمشون وسط الحقول فى الصباح الباكر ليستقلوا القطار إلى المدينة ، أصرت وردة أن تذهب لعشرات الأطباء لفحص سليمان ، كانت تحاور الأطباء وتشترى الكتب لتقرأ عن هذا المرض وتقرأ وتتعلم وتنفذ بكل دقة ما ينصح به الطبيب ، باعت محصول الأرض قبل الحصاد ، باعت كل ما تمتلك من أثاث بيتها وذهبها لتدفع نفقات العلاج ، لم تشتكى لأحد ولم تبخل على سليمان بأدنى جهدها ، بذلت كل ما في وسعها لمساعدة زوجها ، كانت تمسك بيده وتسير معه ببطء شديد حتى لا يتعب ، ألبسته أفضل الثياب، واحتفظت لنفسها بثوب واحد لم تكن تغيره أبداً ، تحولت الشابة الجميلة ابنة العشرين بعد مرض زوجها إلى امرأة قوية ناضجة مكافحة ، تمسك فأسها وتزرع فى حقلها، وترعى حيواناتها، وتصنع القشدة والجبن وتبيعها لتجمع المال لعلاج زوجها ، هم أخر خبأته وردة فى قلبها أنها كانت في بداية زواجها تتمنى أن تنجب أطفالاً لتحسن تربيتها ولكن الأطباء أكدوا لها أن زوجها لن ينجب فوضعت هذا السر في أعماق قلبها ولم تخبر به أحداً أبداً وخاصة زوجها ، وكانت تقول لمن يسألها عن تأخر الإنجاب : إن سليمان هو طفلها وأن السبب هو عقمها ، لقد كانت وردة امرأة نادرة الوجود بنبل طباعها ، كانت تعود من الحقل وهى شديدة الإرهاق وفى حال يرثى لها وما هى إلا دقائق حتى ترتدي أحلى ثيابها وتتزين لتعد الإفطار لزوجها ، كان تعامله باحترام وكأنه أميرها وتارة تدلله كأنه حبيبها ، وتطعمه كأنه طفلها ، رأى أهل القرية أنها تبذل فوق طاقتها ووسعها فهرع الجميع إلى مساندتها ، وقفوا إلى جوارها ، أكثروا من زيارة سليمان لدعمه ودعمها حتى أطباء المدينة بهرهم شدة حرصها وصدق حبها لزوجها ، أخفت وردة عن سليمان حزنها فلم ير سوى الابتسامة الساحرة التى تضئ وجهها.

كان البيت دائماً مزدحماً بالزوار ، كانت وردة تهيئ سليمان بعباءته البيضاء بل ناصعة البياض قبل أن يبدأ أهل القرية فى التوافد والقدوم، وتظل تنتقل بأكواب الشاي وتقدمها إلى الضيوف بترحاب عظيم، ثم تجلس وسط السيدات وتجيب على أسئلتهن حول مرض سليمان بحب وحماس ، كانت تشرح باستفاضة ولا تمل من تكرار الكلام عن سليمان ، كان هو محور حياتها وكأنه سبب وجودها ، كانت تهب واقفة وتسرع إليه إذا سمعت منه النداء ، لم تعرف التعب ولا الملل فى خدمته ولم تشكُ من العناء كانت تتحدث عنه وكأنه ملاك قد هبط من السماء وكانت تخاف عليه من نسمة الهواء ، تمنى كل رجال القرية وشبابها أن يتزوجوا من زوجة مثل وردة فى جمالها وطيب أصلها وحسن أخلاقها ، لقد كانت وردة مميزة وسط بنات جنسها فلقد أوتيت من كل شئ، ورأى أهل القرية أن نقطة ضعفها الوحيدة التى تنقص حياتها هو مرض زوجها.

أما فتيات القرية فلقد شعرن بالغيرة من وردة وحسدنها على شهرتها وحكمتها وقوة شخصيتها واحترام الجميع لها، واعتبرن مرض زوجها هو سر حظها الذي جعلها مشهورة وكأنها رمز للزوجة القدوة فى أفضل صورها.

وفى كل بيوت أهل القرية إذا حضرت وردة فهذا تشريف لهم يفخرون به على من سواهم وإذا تحدثت يصمت الجميع فحديثها دقيق المعنى ، كامل التوضيح ، إنها مثقفة قارئة ، تجيد الحديث والحوار فى أدب ووقار ، وجهها يشع بالصفاء والنقاء

فى أحد الأيام استيقظ أهل القرية على بكاء وردة القرية ، وردة سليمان تبكى سليمان ، لقد رحل سليمان فى هدوء وأمان و كان وجهه يتلألأ نوراً بالابتسام ، مات على صدرها ، قال لها أنه أحبها وأنه سعيد أن آخر ما يراه هو وجهها وأنه قد سجل فى وصيته أن الأرض والبيت وكل ما يمتلك لها.

بعد موت سليمان ظن أهل القرية أن وردة سوف تستريح من عنائها وشقائها وتستمتع بحياتها ،وتعوض ما فاتها مع زوج مريض أضاعت معه عدة سنوات من شبابها، وشاء الله أن يعرف أهل القرية أن وردة ليست عاقراً، وأنها حفظت كرامة زوجها ولكن وردة أختفت عن الأنظار ومكثت فى بيتها وأغلقت عليها أبوابها فلم تعد تزور أحدا ولا تسمح لأحد أن يزورها، وبعد شهور عديدة أصر أهل القرية على زيارتها فوجدوا وردة غير الوردة ، لقد ذبلت وردة سليمان وإكتئبت ومرضت ، ولم يكد يمر العام حتى ماتت وردة ودفنت بجوار زوجها.

مدينه الموناليزا

ألحت خضرة على سيدتها أن تأذن لها فى الخروج إلى شوارع المدينة الكبيرة لتشاهد معالمها و أبنيتها ، رفضت السيدة بشدة فقد خافت على الشابة البريئة الساذجة التى جاءت من الريف لتوها خاصة وأنها قد أعطت وعداً لأمها بالحفاظ عليها وصونها .

مرت عدة أسابيع وخضرة لا ترى المدينة إلا من وراء زجاج نافذتها، وعادت تلح من جديد على سيدتها للخروج لشراء بعض احتياجاتها ، أذنت لها السيدة ولكنها أرسلت معها ابنتها وأوصتها بها ، ذهبت خضرة مع الابنه واشترت ما أرادت ولكن الابنه تركتها لتذهب لعملها بعد أن جاءت بها قريباً من المنزل ولكن خضرة حدثتها نفسها أن تتجول وحدها وتتعرف على المدينة التى بهرتها بسحرها ، سارت بخطى بطيئة تتلفت حولها ، وقالت تحدث نفسها ، ما أجمل المدينة وما أسعد أهلها ، أين أمى لترى هذه الجنة ونعيمها ! لقد تربيت فى منزل مهدم لا سقف له، و جدرانه لا لون لها ، فى الصباح أنظف زريبة المواشى وأنقل سباخها فوق حمارنا لنرميه فى الأرض كسماد لها ، وأقضى الظهيرة إما بين أعواد القطن لأنظفها من الحشائش أولا نزع عنها ديدانها و فى موسم الذرة ، أقشر الكيزان من أوراقها وأخزنها حتى نحتاجها ، كم أتمنى أن أودع حياة القرية وأستريح من شقائها ، ودارت عيناها تنظران فى كل الاتجاهات حولها . وفيما هى تسرع فى خطاها حيناً وتبطئ حينا وتهرول حيناً ، لفت نظرها إحدى الفيلات الفاخرة فوقفت أمامها ، وجدت زجاج النوافذ كالمرأة فأخذت تنظر إلي شكلها وتقارن بينها وبين الفتيات اللائى يسيرون حولها ، إن ابنة سيدتها ترتدى مثلها إنها .... إنها ... نعم اسمها ، جينز وتى شيرت إستريتش ، ما أعقد اسمها وحدثتها نفسها : ماذا لو ارتدت هذه الملابس لتجرب حظها ونظرت إلى المرأة و هى تتخيل حالها ، ثم ضحكت كثيراً وتوالت فى سعادة ضحكاتها عندما تذكرت «عماد» إبن عمها وخطيبها ، ماذا سيفعل لو رآها ترتدى هذه الثياب ! أكيد أنه سوف يلطمها على وجهها أو يجرها من شعرها ، إنها لا تستطيع أن تفعل كل ما يحلو لها ، لم تعرف خضرة أن وراء الزجاج كانت هناك عيون تراقبها وتخطط لاصطيادها ، نظرت خضرة إلى السماء ، لقد اختفى ضوء النهار وراء الغيوم ونزل المطر غزيراً وتبللت ملابسها وارتعش من البرد جسمها.

وقفت مكانها لا تدرى ماذا تفعل فى أمرها، لقد نسيت الطريق إلى المنزل وإذا عادت وهى مبللة فسوف تعاقبها سيدتها، وفجأة فتح الباب خلفها وجاء من داخل الفيلا شاب وسيم يرتدى ملابس زاهية واقترب منها ونظر في عيونها ، تسمرت قدميها ودق بشدة من الخوف قلبها ، بعد فترة من الصمت لا تدرى كم كان طولها قالت : ياسيدى أنا لم أفعل شيئاً ... لقد كنت .... قاطعها : أعرف ماستقولين إنك ترتجفين من البرد ، تعالى معى إنك مثل إبنتى ، تعالى و شرفى فيلتى ، ترددت خضره ورجعت إلى الوراء خطوة وراء خطوة ولكنه أمسك بيدها وأخذها فى حنان وسار معها إلى داخل الفيلا، وسارت معه خضرة وهى حذرة والخوف قد سرى فى أوصالها، اختفى الرجل لوهلة ، أخذت خضرة تتأمل ما حولها ، المكان واسع فسيح ، جدران مزركشة ، نجف ضخم يتدلى ويلمع ، والأرضية شديدة النقاء ، إنها ترى فيها وجهها ، مقاعد جميلة ناعمة ، ترى من هي سيدة هذا المنزل وما شكلها ؟ إنها أكيد أجمل من سيدتها ، و ظهر الرجل، وبرفق أخذ ينزع عنها ملابسها المبتلة وهو يتحسس جسمها ، جرت خضرة نحو الباب لتهرب ولكنه لحق بها ، قبل يديها ونظر فى عيونها وقال لها : تعالى يا سيدتى وقعت الكلمة الناعمة على نفسها فأرجفت قلبها و أرعدت أوصالها ، تسارعت دقات قلبها و شعرت بالدوار و كادت تسقط أما هو فقد نظر بحنان إلى صدرها و هو يعلو و يهبط ، قالت له : سيدتك ! لا أنا فى الحقيقة أعمل ..... وضع يده على شفتيها وقال : ما أجمل شفتيك وعينيك ، إنك رائعة الجمال ، وشعرك ، إنه ناعم ورائع ، وقفت مكانها وتسمرت ، مد يديه بخفة الثعبان حولها ونزع ما بقى من أشيائها وأعطاها غطاءاً لتغطى جسمها، أجلسها أمام المدفأة وأعطاها مشروباً ليدفئ أمعائها ، فجأة استيقظت خضرة لتجد هذا الرجل بجوارها ، قفزت إلى خارج الغرفة وكأن عقربا قد لدغها وتساءلت ماذا حدث لها ؟ إنها لا تتذكر سوى أنها أخذت عدة رشفات من كوب العصير ولكن الواقع يروى أنها تعرضت لأمر مرير ، إنها لم تعد خضرة ، قد تكون حمراء بلون الدم المسكوب على حيائها ، قد تكون سوداء بلون المصيبة التى بليت بها.

حاولت الخروج ولكن الباب موصد ، إنها لا تدرى حقاً أين تذهب ، ماذا ستقول لسيدتها ، إنها حتما ستخبر أهلها والمصير الذى ينتظرها هو قتلها ، وقتل العار الذى لحق بها ، لقد أمضت الليل بطولة تفكر وهاهى الشمس ترسل ضوئها ، سقط الضوء على عيونها من وراء الزجاج فزاد لظى النار فى قلبها ، لقد أزاحت أشعة الشمس الستار عن جرمها ، إنها لا تصدق أن هذا قد حدث بالفعل لها ، صرخت أيتها المدينة الظالمة ، إنك مصنوعة من الحجر ، أنت مدينة صماء ، لا قلب لها وأخذت تبكى بمرارة وتندب حظها.

استيقظ الشاب على صوت نحيبها ، اقترب منها ليهدأ من روعها ولكنها انقضت عليه بالضرب واللكم و دفعته بعيداً وخطفت من جيبه مفتاح الباب وخرجت دون أن تنظر خلفها ، عبرت الشارع مسرعة وهى تلملم أحزانها ، صدمتها إحدى السيارات وسقطت على الأرض وسط دمائها وتجمع الناس حولها لم يعرفها أحد ، و لم يعرفوا عنوانها، حملتها سيارة الإسعاف إلى المستشفى لإنقاذها ، نظر الرجل من وراء الزجاج، ورأى ما حدث لها ، مط شفتيه و تثائب قائلاً : حقاً إنها فتاة ساذجة ، لقد أرادت الهرب إذن هى وشأنها ، لو ظلت معى لصارت سيدتى وأنا عبدها.

فى المستشفى جبروا كسور عظامها ، وعالجوا جراح جسدها وعادت إلى قريتها على كرسى بعجلات و لم يجزع أهلها لإيمانهم أن حادث السيارة قضاء الله و قد أصابها ، مع مرور السنوات تعافت ولكن الزمن لم يضمد جراحها ، لكنها عاشت ورحلت دون أن يعرف أحد حقيقة ما جرى لها ولكنها كرهت المدينة من كل قلبها.



مؤخر الصداق

لم أصدق يا زوجى الحبيب أنك فعلا قد عدت بعد غربة سنوات وسنوات ، أصابني الذهول و لم أ درك لماذا وقوفك هناك خلف الباب ساكنا بلا حراك! أما أنا فقد جئتك أسعى وكلي لهفه واندفعت إليك وقلبى طائر مشتاق ،وددت أن يضمنى صدرك ونقضى الدهر كله فى قبلات وعناق فإذا أنت جبل من جليد لا تتحرك... وكأنك تخشى الانزلاق، مددت لك يداً ترتعش من شوقها للتلاق فمددت لى يدا بحزمه أوراق.

سألتك:ما هذه يا نور الإشراق؟!

أجبت مسرعا :إنها أوراق الطلاق...

عقدت الصدمة لساني وقلبي وكأني بنيران جهنم تلفح وجهي وأخذت تغلى داخل العروق دمائى حتى تصاعدت رائحة الاحتراق

همست لك :ألم نكن على وفاق!!

فقلت: خذى هذا المال ووقعى الاوراق

سألتك:ما هذا؟!

قلت:إنه مؤخر الصداق.

حقاً أصابتني لوثه من الغضب والجنون ورحت أدور فى الغرفة كالأسد المجروح الذى أصابته سهام الغدر فى قلبه ولكنه مايزال أمير الأخلاق ، رأيت سواد الدنيا فى وضح النهار وتمزقت روحى آلاف الجزيئات لكننى لن أبكى أمامه فهو لا يستحق أن يرى دموعى الغاليات ، لملمت روحى وقلت له بثبات عدة كلمات:

هيهات ...هيهات أن تكون هذه الجنيهات ثمناً للصبر و الأمانة والإخبات ، ثلاثون عاما عشتها معك ورضيت أن أكون سجينة الأعماق ، كنت تحصى على أنفاسي وتمضى أنت بكامل الانطلاق ، تحملت معك راضية سنوات الحرمان والإملاق ، الآن صرت ثرياً تملك المال ودفتر الشيكات وتجيد الإغداق .

سوف أمضي فى طريقى وأنسى وأرمى ورائى زواجاً كان طعمه مر المذاق و إليك نقودك عند قدمى فانحنى وخذها فأنا التى يجب أن تعطيك مكافأة لهذا الفراق.

اعذريني

كنت نائمة واستيقظت على صوت الرنين ، مددت يدى إلى سماعة الهاتف واستمعت ، ثم قفزت من فوق السرير ، إنه هو خطيبى العزيز ، وضعت الهاتف على أذني وأجبت ، فلما سمعت صوته جرفني الشعور بالحنين ، علت دقات قلبي على صوته فلم أسمع جيداً ماقاله ولكننى سألته : متى تعود أيها الحبيب ؟

قال : لقد عدت

- هكذا تعود فجأة دون أن تخبرني ! لكنت انتظرتك فى المطار ولكنت زينت الطريق بطوله بالورود والأزهار ، إننى أشعر ونحن في الليل أنها أضواء النهار ، أرجوك تعالي الآن إلي منزلنا وتناول العشاء معنا ، أنا فى غاية الشوق إلى لقائك ، ألست أنت أيضا مشتاقا لى ؟

- لماذا لا تتحدث ! تحدث إلى

- إن صمتك يخيفنى ، يحيرنى

- أريدك أن تأتى الأن وتقابلينى

- ولكنك عدت بعد سنوات من السفر للخارج ولا بد أن تأتى أنت

- لا تعارضينى

- ولكننى أخاف من غضب أبى

- لا تخبريه بعودتى

- لا أستطيع أن أكذب

- بل اكذبى

وأنا أرتدي ملابسي نظرت إلى نفسى فى المرأة هل أنا مستيقظة حقاً أم أننى مازلت أعيش فى عالم الأحلام ، لقد ظللت أحلم به خمسة أعوام منذ سفره إلى إحدى الدول الأوربية للحصول علي الشهادة العلمية ، وتذكرت كم من المرات زارنا فى البيت وظل بإصرار يتودد الى حتى أحببته

ثم جاءني خاطباً فاعترض ورفض والدى ولكنني عاندت أبي وقبلته ، قبل يدا والدى لينول البركات ليسافر للخارج وبالفعل نالها فقد كان والدى رئيساً للجامعة ومسئولاً عن لجنة البعثات ، فتحت درج خزانتي لأرتدي بعض الإكسسوارات فوقع نظرى على أحد الخطابات ، لقد أرسل لي عدة خطابات ثم توقف وانقطعت الاتصالات ، مر عام كامل لم يرسل فيه خطاب واحد ولم يحاول أن يتصل ليطمئن على حال أسرتى بعد أن أجبروا والدى على الاستقالة والتقاعد ، وأيضاً منذ عام واحد.

ذهبت إلى نفس المكان الذى كان يضمنا قبل السفر ، على شاطئ النيل ، الذى شهدت موجاته على ما جمعنا من حب وأمل رأيته من بعيد ، إنه قادم ولكن وجهه مغطى بسحابة حزن قاتم ، ترى ماذا حدث معه فى تلك البلاد البعيدة ! يبدو أنه أمر جلل ، ربما لم يوفق فى الحصول على شهادته ، الشهادة لا تهمني ، المهم هو سلامته أو ربما حدثت له مشكلة كبيرة ويحتاج إلى المساعدة ، و لكن أبى لا يستطيع الآن أن يساعده ، فلقد تقاعد وترك منصبه ،ولكنني سوف أساعده وسوف أكون دائما إلى جانبه و لن أتخلى عنه أو أخذله ، اقترب منى فى برود وحيانى بانحناءة من رأسه ، وجلس فى صمت أثار جنونى وظنونى ، إنقبض قلبي وشعرت بالألم فى صدرى عندما أخرج من جيبه دبلة ذهبية وضعها أمامي وقال سامحيني ، تحشرجت كلماتى وتحدثت بعناء : ماذا يحدث ؟ هل تهجرنى ؟

هل كنت تخدعني طوال هذه السنوات وتجعلنى أنتظرك ثم تأتى هكذا وتلقى بى إلى سلة المهملات !!

- اعذرينى فلا وقت لدى للمجادلات ، فخطيبتى تنتظرنى هناك

- من هى ؟
- إنها تلك الفتاة الرائعة
- نعم عرفتها ، إنها ابنة الرئيس الجديد للجامعة.



عوده إلى اللا عوده

فجأة عدت يا حبيبى من بلادك البعيدة ، بعد سنوات طويلة تواريت فيها بعيداً وراء غيوم الغربة الكئيبة التى حجبت عن قلبى بشدة قتامتها نور الحياة وبهجتها، و لكن أشد منها هو تلك النظرة في عينيك ، إنها نظرة مريبه و كئيبه تؤلم روحي الممزقة التعيسه الآن تتفرس في وجهي طويلاً وتشتكى أنك وجدتنى غير ماتركتنى ، كما ترى لقد تغير لون شعرى وملابسي وكامل هيئتى ، ليس ذلك فقط فهناك المزيد، فاسمع منى ولاتلمنى ، لا أدرى لماذا أصابك الذهول بعد أن سمعتنى ، لقد صرت غيوراً تزأر كالأسد ولكنه ليس وجه الأسد ، إنه وجه ثور غاضب يصيح لماذا ؟ وكيف تجرؤين؟

دعني أسألك أنا : ألست أنت من خذلني ! ألست من سافر وتوغل في الزمن وأهملني ونسيني ؟! فاسأل الآن ان شئت خطابات قد كتبتها بشوق أضناه الهجر و البعد وبللتها بتوسلات الدموع التى تملأ بين الشرق والغرب، ولم ترد سوى بخطاب واحد فارق نسف حبى وهزمني ، تفاخرت فيه بأن هناك أخريات حولك ، ومنهن من توغل فى قلبك ، حقاً لقد أذللتنى لماذا كل هذا الغضب ،ألانني قد ضعفت وانجرفت ! إنك أنت الذى بيديك للجرف الهاوى قد دفعتنى.

أغاضب أنت من خيانتى لك ! عجباً لذلك ، لقد سبقت في ذلك وخنتني، أرى شرارة الغضب تمتد إلى يديك ، إنهما ترتعشان ، إنك تطبق بيديك على حنجرتى بشدة ، لا أستطيع التنفس ياإلهى إن حريق الغضب فى عينيك يخيفنى شكراً لك لقد أفلتنى أتريد قتلي حقاً ! الآن بعد عودتك . لا داعى لذلك فأنت منذ ذلك الخطاب قد قتلتنى ! انظر إلي ، ما أنا سوى شبح لامرأة ميته باردة ، ولكننى كنت أحاول أن أعيش عمراً قد لفظنى ، وألحق بقطار الحياة الذى فاتني اتركنى أمضى إلى مصير لاأعرفه . دعنى أسير فى طريق مظلم يضمنى .

إننى لا أدرى هل يدعنى الطريق وشأنى أم سيطبق على ويلتهمنى !!!

مرت لحظات أطبق الصمت علينا فيها و أنشب أظافره فى حناجرنا ، بينما جلس هو يتحاور مع غضبه ويتحدث مع نفسه بكلمات بذيئة أخذ يكررها بسرعة وكأنها قذائف نارية يكورها ويسددها إلى قلبى حتى ملت نفسى من سماعها ثم أخذ يقذف بالأشياء من حوله ، لم يفتر غضبه إلا بعد أن نظر حوله ورأى كل شيء وقد صار محطما مثلى ومثله ، مكثت غير بعيده أتأمله حتى بدا لي أنه قد نسيني وطار إلى عالم بعيد ، قسمات وجهه تبدو جامدة ، باردة ، نظرات عينيه شاردة ، هائمة وكأنه ينظر إلى اللانهاية ، ظننت أن قناع الغضب قد تهشم وسقط مثل كل الود و الحب الذي جمعنا فى الماضى ، انتظرت كثيرا حتى مللت الانتظار فألحت الروح فى طلب الفرار، فمشيت بخفه على أطراف أصابعى وأدرت مقبض الباب وماكاد الباب ينفتح حتى سمعته يقول بنبرة العاتب المحب : أتهجرينني ! رجعت أدراجى إليه وقلت : أمازلت تريدني ! قال : نعم وهب واقفاً فاتحاً يديه ليحتضنني ، أسرعت إليه وألقيت بنفسى على صدره ، ياإلهى لا أصدق أنه الأن يضمنى ، طار قلبى من السعادة وأغمضت عيوني وتخيلت أننى عروس بيضاء تطير مع زوجها فى السماء فوق السحاب ، والفرح يلفنى ، وأخذت نسائم التسامح تهب على قلبى وتدغدغ مشاعرى ، قلت له : حبيبى لقد سامحتك وأنت هل سامحتنى

قال وهو يهمس فى أذنى :أسامحك ! أبداً لن أسامحك ، فتحت عيوني ونظرت وقلت له : انك تمازحني ولكن نظراتك تخيفنى وضحكت ، قال بوجه بارد أتضحكين ؟ قلت أضحك لأننى وشعرت بألم شديد فى الظهر قد إنتابني والدماء تسيل ياالله ياالله لقد طعنتنى ، و تركنى أهوى إلى الأرض فقلت له : لماذا ؟ قال جزاؤك. قلت بأنفاس متقطعه : لقد كذبت عليك . أردت أن أنتقم لكرامتى منك و الله ماخنتك ولا أحد من البشر قد لمسنى وكيف أخون من ائتمننى ؟

قال : أقسمى ، قلت : أقسم بالله الشهيد الرقيب : إننى لم أخنك بالغيب، وإننى تماماً كما تركتنى، فقلبى المسكين لا يتسع لغيرك، و أنت أكثر من عرفني..... قال : ياويلى ماذا فعلت ! لقد أحببت كثيرات في غربتى وكلهن كن خائنات ، قررت أن أنتقم لكرامتى مرة فقتلت القلب الوحيد الذى أخلص لى وأحبنى .....

قلت :لا تحزن ياعزيزى ، لقد كان سهمك قدرى وقد أصابنى، لقد كنت روحاً معذبة كطائر سجين أضناه الشوق إلى رفيق عمره ، أشكرك لقد حررتنى .... سمعته يقول :سامحينى قلت : سامحتك قال : رغم أننى قتلتك ! قلت : لقد أحييتنى.

لا تسال عن القلب

سألنى من أنت ! لست أنت هى هى

قلت له : أنا هى هى أنا ، ولكنك أنت لم تعد أنت

قال : إنه أنا .... أنا كما كنت أنا

قلت : كذبت والله كذبت فأنت لم تعد أنت

قال : أنت من تبدلتى ، أين القلب المحب !

قلت : لم يعد القلب هو نفس القلب ، فعندما سافرت ، وابتعدت تركت وراءك قلباً كان محباً لك ، أنار الحب غرفاته بالسلام والصفاء وعندما طالت سنوات الانتظار ، تحمل القلب ويلات الفراق بصبر وعناء وهو يدارى حزنه وجرحه العميق وراء دموع معذبات، كانت تسيل من المقلتين فتلسعهما وكأنها جمرات من نار ، لقد كنت له كل الحياة ، وكنت له رمز الوفاء ،ولكنك تلاشيت وكأنك ذرات من التراب عصفت بها الريح فتناثرت بين الأرض والسماء، أو كملح ذاب واختفي بين ذرات الماء ، أرسل القلب المعذب لك نداءات ونداءات كثيرة صباح مساء ، لكنك تجاهلتها ولم تجب ولو حتى بكلمة واحدة ، كلمة واحدة ، كان سيكون لها سحر الشفاء ، فتجرع القلب مرارة الذل ونكسة الكبرياء ، كان القلب يتمشى فى صدرى جزعاً وتحشرجت روحى وكأني على باب القضاء ، فحصنى الأطباء ، ووجدوا فى قلبى بؤرة باقية من حبك ، قالوا : إنها كمين الفناء ولابد من استئصال هذا الوباء ، و بعد ذلك طهرته بالتسامح والغفران ثم تماثل للشفاء مع الزمن بستائر النسيان .

واليوم جئت تسأل عنه ، إن القلب ما زال داخل الصدر ولكن لم يعد لك فى قلبي مكان ، ولم تعد فى نظرى الوطن والأمان ، لقد صرت رمزاً للحزن والألم وذكريات تملؤها المرارة ولا تترك في النفس الشجن ولكن تترك ذكرى العدم ، وأنا أراك أمامى الأن أشعر أننى كنت روحاً تائهة وضائعة عادت من

سفرها العقيم عبر الزمن ، حقاً ذهبت وعادت بلا جائزة ولكنها قد دفعت من شباب قلبها أفدح ثمن ، فلا تسأل عن القلب ، إنه الأن قلب طهرته المحن ، قلب يملؤه النقاء ولا يقبل بالعفن.

احذروا الدائرة

تزوجت رجلاً من ذوى الأعمال ، وندمت على ذلك ندماً لم يعد له اليوم هاهنا مجال ، إنني أعيش في رفاهية تحسدني عليها الكثيرات ، ثيابي أشتريها من أوربا من أغلى بيوت الأزياء وعلى أحدث الصيحات، سيارتي أغيرها كثيراً ودائماً تكون آخر الموديلات، أعيش حياتي بين النوادي والسهرات والاحتفالات ، ثقافة زوجي أننا يجب أن ننحني وننحني ونقدم التنازلات لأصحاب الجاه والسطوة لإتمام الصفقات وبتفكير بسيط وجدت أننا قد حققنا الملايين والملايين من الدولارات وكلها تذهب فى حسابات سرية إلى بنوك أوربا خوفاً مما هو آت ، الطامة الكبرى أننا لا نستطيع أن نعود أدراجنا ونعيش مثل الناس الفقراء فى بلادنا فلقد تعودنا على رغد العيش وعلى كل أنواع الملذات التى لا تسمعون عنها سوى فى دنيا الأفلام والروايات ، تعودنا أن نركض دائماً وراء المزيد من المال والصفقات ، لا نتوقف عن الركض مثل أحصنة السباق المحترفات ، فجأة حدث مالم يكن في الحسبان ، توقفت الأحصنة فجأة فانقلبت العربة ، حادث انقلاب سيارة ، ولكن كتب الله لنا الحياة وكان سبباً فى رجوعي إلى الحياة بمسارها الصحيح كما خلقها الله ، توفر لدى الوقت و قدمي داخل جبيرة الجبس أن أفكر ، وجدت أننا لم نرزق بأبناء وحتى إنني لا أدرى لماذا فليس لدى زوجي الوقت ليذهب إلى الأطباء ، إنه حتى لم يفكر في حادث مثل هذا لو توفانا الخالق فمن سيرث كل هذا المال الهائل، وإذا كتب الله علينا الموت فلم كل هذا العناء!

ذهبت إلى غرفة زوجي فى المستشفى لأحدثه عن رغبتي في إجراء تلك الفحوصات لنرى ما السبب فى عدم الإنجاب كل تلك السنوات ! وجدته منهمكاً فى الحديث مع العملاء والعميلات وهو يجلس على كرسي متحرك وبجسمه وقدميه عدة جبائر ، تحدثت و تحدثت ولكنه لم ينصت لقد صار كالآلة التى لا تتوقف ، إنه لا يستمع إلا لمن يحدثه عن المال وعقله لا يفكر إلا فى الأعمال ويده دائماً للتوقيع على صفقات المال والأعمال ، تيقنت أن من يدخل دائرة المال والأعمال يموت قلبه ويصاب بهستيريا المال، ويسيطر وهم القوة على عقله ،و أنه طالما يمتلك الملايين والمليارات فهو من أهل الصفوة والسطوة بل هو أقوى الرجال ، إنه حتى لم يتضرع إلى الله سبحانه طالباً منه الشفاء بل طلب أبرع الأطباء ليجلبوا له الشفاء ، والحقيقة أنهم من تسببوا له بالشفاء

فبفضل غلطة من أحدهم سيظل سجينا للكرسي ذو العجلات ومع ذلك فهو لم يتغير وما يزال يظن نفسه أنه قادر على كل الأشياء ، حقاً إن من يدخل تلك الدائرة اللعينة القاتلة المميتة لا يستطيع أن يخرج منها فهي تغلق وراءه وتغلق عليه ويظل يدور داخلها ويدور ، هى تأمره وهو يطيع كالعبد المأجور ، وإذا توقف لحظات فهو بالنسبة لها قد مات ، فتلفظه وترميه كما ترمى النفايات ، ويصبح اسمه فى طي النسيان ، وربما ينسى الناس أنه مازال حياً يتنفس ، وربما قال البعض عنه إنه لم يكن يوماً إنسان .

الحمد لله إنني قد استيقظت من غفوة الموت فلقد كانت حياة زائفة مات فيها القلب وصار فيها الحب شيئاً فقط نسمع عنه ، والسعادة عملة نادرة وصفقة خاسرة ، تمنيت أن يكون لي أبناء وبنات وأتمتع بدفء العائلة ، تمنيت أن أجلب أموالى من الخارج لأستثمرها فى بلادي فى مشروعات مزهرة ، تمنيت أن أحكى تجربة حياتي لكل الأجيال القادمة ، تمنيت ألا ينخدع الآخرون ببريق المال وأقول لهم : أرجوكم احذروا تلك الدائرة.



زوجى بطل هندى

زوجي موظف صغير في إحدى الإدارات الحكومية ومع ذلك فهو يشعر فى قراره نفسه أنه الشخص الوحيد فى العالم الأكثر أهمية.

يأتي إلى المنزل متأخراً عن موعد عمله بعدة ساعات، ويجلس وسط الأبناء والبنات ليحكى لهم عن بطولات وبطولات أنجزها لخدمة الزملاء والزميلات ، هذه تشتكى من العنوسة ، فأخذ صورتها ليبحث لها عن عريس بين الزملاء حتى وجد شخصا مناسبا لها ثم دبر لهما اللقاء ، وهذا لا ينجب فذهب به إلى أكبر المستشفيات وظل معه حتى صار له ثلاثة من الأبناء ،و هذه محسودة فذهب معها إلى أحد الشيوخ لتلاوة الرقية من عيون الجيران والجارات، وهذا لديه مشكلة وخصام مع زوجته فذهب معه إلى منزله ليزيل عنهم الخصام والخلافات و لم يترك منزلهما إلا بعد أن صار مزاجهما كالسكر النبات ، و فلان كان عنده ابنه صغيرة لا تسمع فأخذها إلى طبيب السمعيات ، وأصر أن يحضر معها كل الجلسات ، أما فلانة فابنها لديه قصر نظر و يلزمه نظارة طبية فذهب معها إلى طبيب العيون لعمل نظارات لأن أبوه مسافر للعمل فى الإمارات، وفلان احتاجت زوجته إلى سباك فأخذ الاسطى فرج وأسرع به الى هناك وظل ملازما له حتى أنجز عمله وطبعا فلان كان عاجزا عن شكره أما زوجته فقد أعدت عشاءا خاصا على شرفه شرف البطل الذى يضحى براحته من أجل سعادة الآخرين ويؤثرهم على نفسه ، إن الجميع يلقبونه بالبطل النبيل ، وينظرون له بكل إعجاب وتقدير.

ويظل يحكي بلا تعب أو ملل ، أقاطع حديثه كثيراً وأقول : ونحن يا عزيزى نريد نجاراً يصلح النوافذ فالنوافذ كلها تحتاج للإصلاح ، ونريد سباكا ليصلح صنابير المياه ، ونريد معلماً يشرح للأبناء ، والأبناء بحاجة الى والد يحتويهم ويفهم مشاكلهم ويحميهم ، والأبنه الصغيرة مريضة و تحتاج للذهاب إلى الطبيب وإلى الدواء ، ولكنه لا يستجيب ربما كان لا يشعر حتى بوجودنا ، إنه يعيش فقط في عالمه السحرى البعيد ، قلت له : لقد سمعتك كثيراً وسمعك الأبناء ألا تتوقف قليلاً لتسمعنى وتسمعهم ! ألا تريد أن تتحاور معهم وتسألهم هل هم سعداء أم تعساء ! فإذا كنت بطلاً فلم لا تعطينا الدواء ! لماذا تبخل علينا بعصاك السحرية وتحتفظ بها فقط للزميلات والزملاء ؟؟؟

لماذا لا تحبنا مثلما تحب الغرباء ؟

ربما نحتاج نحن إلى بطل هندي مثلك ولكن يبدو أنه ليس أنت أيها الببغاء.

زوجى صائم عن الكلام

أرجوكم أغيثوني أيها السادة المحترمين ، إن زوجي مريض بمرض الصمت اللعين ، منذ سنوات طويلة قد سقط وداخل المنزل فقط فى هذا المرض بالغ التعقيد والخطر ، فى البداية كان يتحدث بكلمات محسوبة معدودة ، وبعد مرور سنوات وسنوات صارت معدومة ، يكاد يتحدث بالإشارة ، ولا يتحدث أيضاً مع الأبناء فهو فى هذا الأمر لا يفرق بيننا أنا وهم سواء بسواء.

دعونى أحدثكم عن عاداته اليومية ،إنه يستيقظ مبكراً ليذهب للعمل ثم يعود ليتناول الغذاء فى شراهة بلا ملل، ثم يرتدى عبائته البنية ويجلس فى الشرفة ليرتشف قهوة العصرية وهو يقرأ الجريدة المسائية، وفى المساء يذهب ليجلس علي المقهى المقابل للمنزل عبر الشارع حيث يجلس علي نفس الطاولة التى يجلس عليها دائماً، وتتجمع حوله الشلة الذكية ،حيث يجلس وسطهم يتحدث بطلاقة وكأنه زعيم الأغلبية ، لم تعد نبرات صوته العالية وضحكاته التى تأتى و كأنها طلقات مدوية تدهشنى فلقد تعودت على سماعها كل يوم وصارت عادة روتينية أن أراه من بعيد و هو يناقش ويحاور وأنظر إلى وجهه نظرات نافذة من وراء النافذة فإذا هو مرح وسعيد وما إن يودع أصدقائه ويعود إلى المنزل حتى يتجهم وجهه ويتبدل وكأنه وجه جديد فأشعر بغصة فى حلقى ووخز فى صدرى ، أليس من حقى أن يتحدث معي ويؤنسنى ويتجاذب معى أطراف الكلام**!** هل يعتبر أن عدم الكلام مع الزوجة والأبناء سمة من سمات الهيبة والاحترام ؟ هل يعتقد أنه يقود قطيع من الأغنام؟

أفلا يعلم أنه قد ألقى بنا إلي كهوف الاكتئاب وسراديب الظلام لا أدرى لماذا يفعل زوجي هذا مع إنني فى نظر الآخرين زوجة ممتازة ، أننى أغسل الملابس وأنظف المنزل ،وفى ألوان الطبخ والخبز بشهادة الجميع أستاذة ، أساعد أبنائي فى دروسهم وأتحدث معهم دائماً لأعوضهم عن غياب لغة الحوار مع والدهم ، وشخصيتى عاقلة ومتزنة، وطباعى هادئة ولا أميل إلى القسوة أو الفظاظة ، ولا أتحدث عن هذه أو هذا ،ولا أنتظره خلف الباب بقائمة من الطلبات ،ولا أطلب أغلى الثياب ولا أحب الرحلات ، ولا أمضي وقتى بالحديث مع الجارات ، ولم أرهقه يوما بكحك العيد أو الأضحيات، ومع ذلك أيها السادة و السيدات لا يتحدث معى هل انا بالنسبة له شبح ميت أم ماذا؟

ليتنـي أدرى حقيقـة الأمـر فـى رفيـق العمـر الـذى شـربت مـن صمته كئوس الذل و المر ، لقد صار هذا الصمت مثل السم الذى أتجرعه ولا أكاد أطيقه ، إنه سم قاتل ، يزرع الشكوك فـي القلب و يغتال فيه الود والحب وينسف الصبر ، لقد صـار هـذا الصمت هو الألم المكبوت والأهه الخافتة فى حياة قاسية غير منصفة.

أننـى أراه أحيانـاً كثيـرة ينظـر لـى مـن وراء النظـارة السـوداء نظرات حادة أشعر من خلالها وكأنه يتمنى أن يلقى بى من أعلـى سطوح العمارة ويشعر بعدها بالراحة والصفاء.

إننى لا أفهم حتـي الآن هذا اللغز الكبير ، سـاعدوني فـى حلـه ولكم من زوجه مظلومة كل التقدير ، فكروا وأكثروا التفكير لماذا صام زوجى عن الكلام ؟ أغيثونى ولكم منى السلام .



أنا وهو وهى

لقد جئت ياعزيزى كما تعودت لأجلس بجوارك ، أستمع بكل خلجات نفسى اليك وأنت تلقى على مسامعى كل أخبارك ، كنت أطير من السعادة عندما تتركنى أتجول فى حرية داخل حياتك، وتتخذ منى صديقة مقربة تحفظ أسرارك ، وعندما كنت تجلس صامتا شاردا ، كنت أقرأ كل أفكارك ، دائما كنت أجلس هنا على نفس الطاولة وعلى نفس المقعد فى انتظارك ، لم يفزعنى أبدا غيابك فمهما طال الغياب ، كنت دائما تعود بإصرارك ، لا أدرى هل تعودت روحى على رؤيتك أم أن قلبى قد أدمن صداقتك ، أم أننى قد أحببتك و ضحيت بحياتى من أجلك

فكرت وتساءلت كم مضى من السنوات وأنا منشغلة بهمومك وأحزانك ، أنت دائم الشكوى منها ، لم تبح لى ولو مرة أنك راض عنها، وأنا دائما فى جانبك أتألم لألمك وينفطر قلبى لأجلك تشكو لى أنها لا تبالى بأمرك وأننى الوحيدة التى تهتم بشأنك ، هى لا تكترث لشقائك فى عملك وأنا أتفانى لأحمل عبء العمل عن كاهلك ، وأشقى نفسى ليستريح قلبك ، هى تكثر من صرخاتها فى وجهك وأنا الملاك الحنون الذى يدفأ قلبك ، هى تصيبك بالألم والتعاسة وأنا أمسح دموعك وأجلب لك السعادة ، هى تتركك وتغادر المكان وأنا أسعى دائما خلفك لأشعرك بالسكينة و الأمان .

اليوم تعاتبنى عندما تأخرت عدة دقائق عنك وتشكو منى و تقول : أن صبرك قد نفذ ، إذن لماذا صبرت عليها كل تلك السنوات ؟ ولماذا لا ينفذ صبرك معها أبدا ؟ قلت لى : أننى أجدد فى الحياة أملك رغم يقينى أننى لست سوى طيفا فى حلمك.

قال : مكانك داخل قلبى

قلت : وماذا عنها هى ؟

قال : هى أيضا فى قلبى

قلت :لن يسعنا قلبك

قال :أحبكما أنتما الاثنتين

قلت : لن تستطيع أن تعدل فى حبك ، أنت لا تملك قلبك

قال : بل أستطيع

قلت :كذبت وصدق ربك
قال : ولكنك قدرى
قلت : بل هى قدرك
قال : لا أستطيع أن أعيش بدونك
قلت : لقد سئمت من لعب دور البطولة فى حياتك
قال : ماذا أفعل !
قلت : أبحث لك عن طيف آخر يحبك
قال : أوليس الحب نهرا من العطاء ؟
قلت : بلى ولكن شمسك المحرقة قد بخرت كل الماء.



حوار البدرومات

تشاجرت هناوات مع زوجها سيد وهو بواب في أحد العمارات قالت : أنا زهقت ياسيد من كونى شغالة عند الست الهانم زينات هو أنا مش زوجه زى كل الزوجات؟.

سيد: قصرى وهاتى من الآخر يا هناوات.

هناوات: شايف شقة الهانم واسعة وفخيمة وكلها أثاث ونجف وتحف جايه من المزادات ، يالهوى ياسيد عينى هاتطلع على الستاير دى جيباهم من الإمارات.

سيد: ياوليه إحنا مالنا ومالهم دول ناس بهوات ولاد بهوات.

هناوات : ياحزنى ياسيد هو الغلب مكتوب على الغلابة طول السنوات.

سيد: قومي ياوليه هاتى الطلبات.

هناوات: وكأنها لم تسمع نفسى أركب عربية آخر موديل وألبس فساتين غاليه على أحدث الصيحات، والبت سمره مرات أخوك حامد تحسدنى بدل مابتعايرنى على خلفة البنات.

سيد: يتنهد تنهيده من يجلس على الجمرات الساخنات قام وقال يابنت. وشتم بالآباء والأمهات وقال : هناوات اللى متربيه مع الجاموسة عايزه تكون هانم زى الست زينات، أنا كمان نفسى أكون بيه ولا كل البهوات ، أركب شبح زى البيه عاصم زوج الست زينات وأحط ريحه علىَّ هدومى تلم على كل الستات

هناوات:ايه الريحة دى يا سيد ؟

سيد: مش عارف ياوليه أنا معرفش غير الخمس خمسات.

هناوات: بلاش تحط الريحه دى ياسيد

سيد: ليه يعنى؟

هناوات: كده وخلاص، واقصر الشر ياسيد، واتقى غضب الستات.

سيد: ونفسى أروح النادى، وافرد نفسى على كرسى بالساعات وثلاثة أربعة بنات حلويين يدلكو جسمى بأيديهم الناعمات.

هناوات: وبعدين ياسيد

سيد: يعنى جت على الغلبان ماهو عاصم باشا بيعمل كده كل يوم.

هناوات : ياوقعه سوده معقول كده ياسيد.

سيد: إيوه يابت ماهو انا بروح معاه واستناه وبشوف كل الحاجات ده غير مواعيده الغرامية مع بنات زى الشربات.

هناوات: يعنى هو بيعرف على الهانم واحده تانيه دى جميله الجميلات.

سيد: واحده بس قولى وحدات ، هو برضه بيه كبير وعنده ملايين الدولارات، ياما نفسى أكون زيه ويكون عندى سكرتيرات حسناوات.

هناوات: علشان إيه ياسيد هو أنا مش ماليه عين أمك.

سيد: ياوليه علشان أمتع نظرى واخدهم معايا عشاء العمل مع العملاء فى أفخم الاوتيلات.

هناوات: ياخرابى ياسيد لو شفتك مع سكرتيرة من دول هأصوت وألم عليك الناس وأعملك فضيحة تتكتب فى الجرايد والمجلات.

سيد: ياهناوات هم كده الناس الذوات.

هناوات: قطيعه ياخويا خلينا فى البدرومات.



لهذه الأسباب ارفض يا ابنتى

فرحت حين صرت
صـــــبية كبيرة

قذفت بعروستى بعيداً
رغم إننى كنت أحبها
حبـــــا شديداً

وفرحت حينما أصبح لى غرفة جديدة
ولم يـــعد آخى يقاسمنى الغرفة
إننـــــى فى غرفتى وحدى
حـــــــــرة ووحيدة

ارتديت حذاء أمى
ذو الكعب العالى لأبدو طويلة
حاولت تقليد مشية أمى
وأتقنتها ولكن بعد أن تعثرت كثيراً

ألبسونى أجمل الثياب
وأرقها لأبدو جميلة

علمونى كيف امشى بخطوات
مدللة وكأننى أميرة

تعلمت أصول الطبخ والخبز وتحضير
أصناف الحلوى الوفيرة على يد جدتى أصيلة

حفظت عن ظهر قلب
نصائح أمى وخالتى أمينة

وبعد تدريب تعلمت فنون عذوبة الكلام
وسحر الحديث ناهيك عن سهام
النظرات الحانية ثم الانصراف بسلام

وفى إحدى حفلات الزواج بعائلتى
ألبسونى ثوباً جميلاً
وتركت شعرى ينساب
ويتدلى حتى خصرى

وكان هناك شاب رائع ممشوق القوام ، أخذ يرمقنى بنظرات فاحصة ونجح فى لفت نظرى
نظراته لى جعلتنى أتعثر
فى خطواتى

أخذ قلبى يدق بشدة
رفعت ذيل ثوبى
وخطوت خطوات قليلة
وأسندت راسى إلى الحائط
لأستريح وكأننى قد سرت ميلاً

مد يده لى لنرقص سوياً
وامسك بيدى وأخذنا

أحسست إحساساً غريباً
لم أعرف له من قبل مثيلاً
ثم تبادلنا الكلمات
تمنيت لحظتها
أن نتبادل القبلات

أفقت والأهل يحدقون
فينا وظلوا يحدقون
مليـــــــاً

رأيت فيه جانباً
مشرقاً مشوقاً
من الحياة
كان بعيداً عنى
كان منسياً

تقدم لخطبتى وجده أهلى
صبياً فتياً

كان شرف أسرته
ناصعاً نقياً

قبل يد جدتى وانحنى لأمي
فنال القبول
وأصبح عنه مرضياً

زيارات كثيرة هدايا ثمينة

لقد احتل من قلوب أهلى
مكاناً علياً

ملت إليه

وعندما رأيت فيه صفاتاً
لم تعجبنى
فكرت بعقلى أن ارفضه
ولكن قلبى عاندنى فيه

فوافقت قلبى عليه
لأننى حقاً
قد انجذبت إليه
والأمر من جانبهم
كان محسوماً
ومنتهياً

نثروا علينا الورود والبخور
لأكون من الحسد محفوظة

رأى الجميع أننى فتاة محظوظة
وتنبؤا لى بحياة هنية
دخلت معه إلى فيلا الزوجية
وبعد أيام وأسابيع
عرفت أننى دخلت
مغارة الحياة القاسية

هل تراها مغارة على بابا؟
لقد كانت مغارة
الأربعين حرامى

حقاً إنها كذلك
لقد سرق زوجى الوسيم
فرحة صبايا
وحطم بهجة أيامى

حرم زهرة شبابى
من الماء والضوء

حتى ذبلت وسقطت فى ظلمات أحلامى

لم تعد هناك نظرات حانية
وهمسات
بل صار هناك فى درب الحياة
أيام نحسات
زادت فيها ألامى
وأشجانى

تحسرت على طموحى وأحلامى
وضاعت أحلامى الوردية

لقد اخترت الزوج الخطأ
لقد كان اختياراً غبياً
هل هو خطاى وحدى
أم خطؤهم
أم انه خطؤنا سويا

الحياة معه كانت كئيبة
معتمة بلا لون
بلا مذاق
عشت معه بلا هوية

تحدثت
اشتكيت وتوجعت
ولكننى قد اصطدمت
بجدار عنيد
أننى من عائلة لها تقاليد
لا تسمح بالطلاق

لا تعترف بالفراق
توقفت عن الكلام
تعودت على الصمت
وحياة الظلام

دفنت قلبى فى بئر سحيق
حتى لاح لى فى الظلام
روح رقيق

لقد رزقت منه بابنة وولد
أضاءا لى ظلمة الطريق
أحببت حياتى لأجلهم
ونسيت أمواج الغضب
وتعلقت بطوقى النجاة
وتناسيت أمر هذا الشريك
ودار الزمان دورته
والزمان لا يعود
ولكن بعض أحداث الحياة
قد تكرر نفسها
قد تعود
لقد كبرتى ياابنتى وأصبحتِ
فى ريعان الشباب
وتقدم هذا الشاب
لك ياحبيبتى
عندما نظرت فى عينيه
وتفحصت شخصيته
واستمعت ملياً إليه

رأيت فيه والدك الذى أغرقنى فى بحر العدم
اضطربت روحى
وملأنى الغضب
ابنتى :
أننى ارفض بشدة
هذا الشاب كزوج لك
ياالهى إنك تبكين لا بأس ابكى كما تشائين
ولكنك لآخر الحياة سوف تسعدين

عروس السماء وفاء

تجولت السيدة أم دعاء في السوق الكبير في غزة طلباً لطعام الغداء ، وفي ساحة السوق الواسعة كان هناك الكثيرات من النساء ، بعضهن كن من نساء الحي وبعضهن كن من خارجه ، كن مجتمعات حول الزهور وتسابقن في الشراء فاليوم هو عرس ابنة الحي الجميلة «وفاء» ، اشترت أخت وفاء أجود أنواع الشموع والحناء واشترى أخوها يوسف اللحم والدجاج ، وقالت بعض النسوة :أن العروس هنا في السوق تشترى مع أبيها بعض الأغراض ونظرن إليها ، ولوحن لها ، فابتسمت لهن وردت التحية بوجهها الجميل الوضاء، ومن بعيد وقف خطيبها ينظر لها ويقول لنفسه : متى تأتِ أيها المساء لأنعم مع تلك الحسناء التي ليس لنظرة عيونها الواسعة الجميلة شفاء ، حقاً إنها جميلة بل أنني أراها أجمل النساء.

تعالت ضحكات الأطفال وأخذوا يتسابقون في الجرى في فرحة وصفاء ، وقام بعضهم بالغناء ، و تجول الشيوخ في السوق بلا عناء، و تعالت أصوات البائعين ليحفزوا الجميع على الشراء ، قالت في نفسها أم دعاء لقد انتهيت من الشراء وسوف أسرع إلى المنزل فأطفالي وحدهم هناك فليس لي هنا الكثير من الأقرباء ، أن العدو يعزلنا عن أهلنا بكل عناد وغباء، لكنها لم تكد تتحرك عدة أمتار من مكانها حتي شاهدت طائرة تحلق فوقها في السماء ، وماهي إلا لحظات حتى اختفت الشمس وراء الغيوم السوداء، و تعالت من وراء ألسنة الدخان الأسود صرخات الأبرياء ،نظرت حولها وأهالها مشاهدة الأشلاء المتناثرة وهي تتطاير في الهواء ،وعندما انقشع الضباب الأسود لم تر واحداً في السوق ، لا يوجد جسد كامل ، كلها أعضاء.أعضاء والزهور والشموع تغطي الأرض وقد تخضبت باللون الأحمر لون الدماء سمعت صوتاً خافتاً يتأوه في احد الأركان ، ياللرحمن ورحمته إنها العروس وفاء ،أنفاسها ضعيفة و متقطعة ووجهها شاحب تغطيه الدماء ، اقتربت منها لتساعدها ولكنها وجدتها تحتضر، نظرت إلي عيونها فإذا هي مصابة بشدة، إنها عمياء وأجهشت أم دعاء بالبكاء، ولفظت وفاء آخر أنفاسها وهي تقول : ياخالتي كنت أتمنى أن أزف إلي زوجي في المساء ولكن عجل الله لنا اللقاء ، وداعاً خالتي فزوجي ينتظرني والملائكة ينتظرون صعودي لعرسي في السماء وماتت وفاء ابنة الحي الجميلة

فهل يكفي الدعاء! تساءلت في نفسها أم دعاء .



أشرقت الشمس

أشرقت الشمس كعادتها والديك صاح
وفتح الصغير عينيه فظهر نور الصباح
بثغر باسم وضع قبلات على وجنة أمه
صوتها كصوت الأفراح
قال يا أمي لقد رأيت في المنام
أنني أصلى في الأقصى مع أخى صلاح
وجرينا في المروج بفرح وارتياح
ثم جئت تحملين لنا فطيرة التفاح
قالت الأم : أه يا ولدى كم اشتقت للشهيد صلاح
هذه الرؤيا يا ولدى خير وفلاح
وفجأة شق السكون صخب وصياح
أطل الصغير من شرفته كالملاك
ورأى الصبية يرمون بالحجارة كالرماح
ويرسل الله فيها الهلاك
مرق الصغير إلى الخارج كفرس شديدة الجماح
وتقدم الرجال يقذف الحجارة ولا يخشى الخسارة
وصيحات الله أكبر فيها سحرنا يا صاح
وعلى بعد خطوات كان العدو الغادر
يقاتل من وراء حصنه وظن أنه القادر
وتناثرت رصاصاته في كل مكان
وحجبت الهواء ألسنة الدخان
واشتد الوطيس وضاع الأمان
وجاءت أم الصغير تسعى وتشق الزحام

وتصرخ يا ولدى حتى ضاع منها الكلام
جثت على ركبتيها وزحفت وسط الركام
وتحسست بيديها أثار الحطام
حتى التقت العيون فتعانق الحبيبان
همست له:لماذا خرجت أيها الصغير !
قال :لأطهر قدسي ووطني موضع قدم محمد الأمين
ثم بدت على الصغير سكرات الرحيل
وقال: وداعا يا أمي
قالت : لا يا ولدى عُدْ
قال : إنه الصعود خذي الحجر يا أمي وحاربي اليهود
وسكتت الأنفاس الطاهرة
بكت الأم بكاء الألم
وهطل الدمع هطول المطر
وأحست الأم الجسور
أنه لا وقت للنحيب
فتناولت من يده الحجر
وقبضت علية بقوة
وبثت فيه نيران الغضب
وانطلقت فارسة النبلاء
وألقته في وجه الأعداء
فتحوا عليها نيرانهم فسقطت
تبا لكم يا بوم البشر
تبا لكم يا مصاصو الدماء
تفاخر القتلة أنهم قتلوا أما بطلة
لا بأس من إراقة الدماء

فالشهداء هم قربان الفداء
فأبشروا كما جاء في محكم الكتاب
ليبعثن الله عليكم حتى يوم البعث والحساب
من يسومونكم سوء العذاب
ويوم قريب سوف تشرق شمسنا العربية
ويعود للقدس الأمان
ويعود للأقصى السلام



الفهرس